المحاضرة السابعة

طبيعة العلاقة بين الرواية والثورة

انّ مفهوم العلاقة بين فن الرواية و الأحداث الكبرى كالحروب و الثورات يختلف عن مفهوم العلاقة بين هذه الأحداث و الأجناس الأدبية لأخرى ـ الشعر و يمكن القصة القصبرة ـ التي تكتب أثناء الحدث و تكون متميّزة.

و قد يكون من الأمور الشائكة أن يتمّ التساؤل عن قضية مواكبة الابداع للحظات الفاصلة في تاريخ البلدان و الشعوب.

حيث يرى النقاد أنه من الأجدى و الأقرب الى الصواب أن ينتظر الاديب مآلات الحدث النّوعي أو الفارق ،ليتمّ النظر فيه و اليه و قد خلص الى نتائجه فقد يحدث أحيانا أن البعض لا يستطيع مقاومة اغراء اللحظة الحارة أو المشتعلة ، فيسرع الى الانشغال ،أو النظر أو المقاربة لما تشهده عيناه أو يصطدم به من تحوّلات جارية ،فينتج أدبا يمشي بارهاصات أدب طلائعي ،و لكنه لا يتسم بالنضج أو التأمّل و لكن الرواية ليست تعبيرا عاطفيا لحظيا و انفعاليا كغيره من الأنواع. كالشعر و اليوميات و القصة القصيرة و الومضة .....

و قد تكون لدراسة الكتابات الابداعية المواكبة للتحوّلات الكبرى ـ الثورة ـ ،الكثير من النتائج و الخلاصات الجمالية و الفكرية المهمة : من كتابة اليوميات و الشهادات و القصة الومضة ... حيث نجد أن مثل هذه الابداعات سجلت مفردات و وقائع التحوّل الهام في حياة الشعوب و يكون للأدب الدور الهام و المؤثر في طريقة تعاطي المثقف و تفاعله مع التحوّل و الحدث و شكل التناول الابداعي و لكنه انفعال أوّلي بالأحداث و قد عرف التراث الأدبي المعاصر ـ العالمي و العربي ـ هذا الشكل من الاستجابات الأدبية ازاء أحداث الواقع و منعطفاته الفارقة من تلك الأمثلة : يوميات (آنا فرانك) و هي فتاة يهودية من ألمانيا هاجرت مع أسرتها الى هولندا بعد صعود النازيين الى الحكم. كتبت يومياتها وهي تروي الحصار المفروض على عائلتها و على مجموعات كثيرة من المجتمع الهولندي زمن الاحتلال الألماني و كذا القمع و التصفية التي مورست في معسكرات الاعتقال و الموت في ألمانيا، نشرت اليوميات عام 1947 تحت عنوان (يوميات طفلة صغيرة).

و من الجزائر يمنلنا أن نشير الى كتاب (يوميات) ل(مولود فرعون) والذي سجل فيه بعض فصول الحرب والمقاومة و طرح فيه مواقفه وآرائه.

كذلك نذكر من الأمثلة الحديثة مصدر للشاعر (أمجد ناصر) عن حصار بيروت و هي يوميات عن الاحتلال الاسرائيلي و حصاره لمدينة بيروت و حالات الصمود و المقاومة ،و دور بعض الكتاب و المثقفين.

نلاحظ في مثل هذه اليوميات ابراز لما هو قيّم و جوهري فيما ترويه حيث تجسّد حرارة الحدث و معاناة الناس و تقديم الواقع الحسي الطافح بالمسعى النبيل.

و نجد بعض الكتاب الذين تفاعلوا مع الأحداث مثل (تامر زكرياء) الذي كتب القصة القصيرة و الومضة لتجسيد لحظة مكثفة من عمر الحدث الجوهري. كذلك قدمت الكاتبة (روزا ياسين حسني) عملا توثيقيا تحت عنوان (نيقاتيف) كرواية توثيقية جمعت فيها شهادات خمسين معتقل سياسي سابق في السجون السورية .....

و لكن هذه الأعمال لا تشي بحقيقة العلاقة بين الرواية و الأحداث الكبرى أي الثورات و التي تختلف قطعا عن العلاقة بين الثورة و اليوميات و الشعر و الومضة ..

فالعلاقة بين الرواية و الثورات علاقة فريدة ،لأن الرواية لا يتضح عالمها بتلك السرعة ،اذا ما أراد الكاتب أن يبني بناء فنيا متطوّرا يكون هو القيمة الأبرز في العمل الروائي.

فموضوع الرواية ،و ان كان جديدا و فكرتها عميقة و شجاعة لا يكفيان لتألقها الفني ،ذلك انها تنتمي الى جنس الابداع الذي تنتجه المخيلة بواسطة اللغة و لذا فالرواية تحتاج الى خبرة تنضج شروط الكتابة الرواية حتى تولد ناضجة و مبنية ،بما يجعل أثرها غير مرتبط زمنيا بالحدث.

فالكتابة المتسرّعة لا تكون قادرة على اعادة انتاج المخيّلة حتى يصبح سردا يصل الى المتلقي فيدهشه و يضع بين يديه و أمام ناظريه عالما ليس هو العالم الواقعي الحقيقي الذي عاشه ـ يوما بيوم ـ خلال مجريات الحدث.

و نؤكّد أن الروايات العالمية ـ بعضها عربي ـ ذات الصلة الموضوعية بالحروب و الثورات و التي لاقت الاهتمام الكبير و بقيت خالدة على مر الأزمان و اختلاف الأجيال تلك التي كتبها الروائيون بمسافة زمنية بعيدة عن الأحداث الكبرى.

رواية (الحرب و السلام) مثلا ل (تولستوي) تعتبر أبرز علامة في هذا المجال حيث بعد أكثر من نصف قرن على فشل الغزو النابوليوني لروسيا كتب (تولستوي) رائعته التي لا تزال تحمل قيمتها الفكرية و الفنية و التاريخية.

كذلك روايات الحربين العالميتين حين كتب (ارنست همونغواي) رواية (لمن تقرع الأجراس) عن الحرب العالمية الأولى بعدها و بفارق خمسة عشر عاما.

و كتب (يوري بندرايف) عن معركة (ستالين غراد) في الحرب العالمية الثانية سنة 1969 ،و عن الحرب الأميريكية جاءت رواية (ذهب مع الريح) ل (مارجاريت ميتشل) بقد قرن تقريبا.

و في عام 2013 كتب (خالد الحسين) عن سقوط الملكية في أفغانستان في السبعينات رواية (عدّاء الطائرة الورقية).

وعن الحرب البوسنية (1992 1995) كتب (ستلافين أفيديتش) روايته (مخاوفي السبعة) سنة 2009.

كذلك نجد الروايات العربية التي كتبت عن الثورات و الحروب جاءت بعد مرور فترة زمنية عن الحدث فقد جاءت أهم الأعمال التي تتناول الثورة الجزائرية رواية (اللاز) ل (الطاهر وطار) مثلا سنة 1974 ، اي بعد نهاية الثورة بعدّة سنوات.

و كتب (الياس خوري) رواية (الجبل الصغير) عام 2003 أي بعد انتهاء الحرب الأهلية اللبنانية بفترة زمنية.

و حدث الشيء ذاته عند الروائي (صنع الله ابراهيم) الذي كتب رواية (بيروت بيروت) بعد انتهاء الحرب الأهلية اللبنانية بمدة زمنية.

طبعا كل هذا لا ينفي أن بعض الأعمال الروائية كتبت و الثورة مستمرّة مثل رواية (الحنين الى كاتالونيا) التي نشرت أثناء الحرب الأهلية الأسبانية.

و مع أن نجد أشكالا أخرى من المدوّنات و النصوص الاخبارية تواكب الحدث لحظة بلحظة عبر وسائل الاتصال المختلفة و توضح نتائجها ،الاّ أن الرواية كفن أدبي يحتل الصدارة في أجناس الأدب لا يعوّضها أي حضور لجنس أدبي آخر للتعبير عن الثورات و الحروب أي التحوّلات الكبرى في المجتمع

الهدف العام للمحاضرة :

طبيعة العلاقة بين الرواية و الثورة

الأهداف الاجرائية للمحاضرة

أشكال الابداع المواكب للثورة

ماهية العلاقة بين الرواية والأحداث الكبرى

مراجع المحاضرة :

الرواية والتحوّلات مخلوف عامر

الرواية والواقع محمد كامل الخطيب

اتجاهات الرواية العربية بحث في ا؟لأصول التاريخية و الجمالية للرواية الأعرج واسيني

انشطة التقويم :

اسئلة حول عناصر المحاضرة

كتابة مقال يبرز طبيعة العلاقة بين الرواية والثورة.